

تجري سيرها الا على أخبار لا يزال فيها شيء من الفوضى ولم يجتمع لدي في هذا الصدد الأقوال في غاية التعارض والتناقض فأنت تعلمين مقدار ما للشبان فيما بينهم من القسوة على النساء ولا سيما المثلات فقد بلغ الحسد من افساد خلق الانسان الى حد أن جعل من لذاته تمزيق اعراضهن مع ما هن من الملكات التي هي مناط الاستحسان العام ولست بمخف عنك شيئاً مما يقولون فبعضهم ينسب لها من هتات الشباب ما يغير دمي ويشير غضبي وبعضهم يقول انها تعيش مع أمها في حيّ منعزل عن المدينة وقد أرايتي الطالبة هذه الام تصحبها ليلاً عند خروجها من الملعب فلم أجد بينهما مشابهة ما وان أردت الوقوف على شيء من نعمتها فتخيلي امرأة ضخمة من عامة النساء قد ذر شاربها واني لمتألم من تصور ان مثل تلك الزهرة قد نبتت من هذه المدرسة ومهما يكن من وضاعة أصل تلك الجارية فمن الفضل أن تعامل بجميع ما يجب لفتاة مخصصة مثلها من صنوف الرعاية والتكريم

على اننا اذا سلمنا حصول أسوأ ما يتأتى حصوله منها وفرضنا ان سيرتها لم تكن دائماً مرضية أفلا يكون الذنب في ذلك على مهنتها وعلى من يعاشرها من الناس؟ اني أراها بالغة من الظرف والكياسة مبلغاً أستبعد معه أن لا تكون لها نفس زكية وربما لم يتفق لها في حياتها أن تمثل لها الحب الصحيح المطهر للنفس بشراً فاضلاً كريماً. وارباه أي فخر أناله لو أتيح لي أن أمد يدي الى تلك الروح الملكية فأنشأها من درك الأخطاط الذي هبطت فيه لتعود الى نور الهدى والفضيلة

ها أناذا قد كشفت لك مكنون سري ونجوت بهذا الاعتراف من شديد زجر سريرتي والآن أقع بين يديك راجياً منك غفران خطيئتي . اهـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تأبين الاستاذ الامام

في يوم الجمعة (١٧ جمادى الثانية ١٨ أغسطس) اجتمع خواص الناس من العلماء والادباء والوجهاء من المسلمين وغيرهم عند قبر الاستاذ الامام حكيم الشرق

وحجة الاسلام الشيخ محمد عبده اثابته وراثته وكان عدد المجتهدين عظيمًا كما كان ينتظر أو أكثر مما كان ينتظر فقد غص بهم المكان المعروف بالحوش والبطحاء التي أمامه ورجع خلائق أموا المكان فلم يجدوا مقعدا ولا موقفا

قام حسن باشا عاصم الذي كان رئيس الديوان الخديوي من قبل بعد تلاوة أحد القراء آيات من الكتاب العزيز فألقى على الحاضرين سيرة الامام ، بالاختصار اللائق بالمقام ، وتلاه الشيخ أحمد أبو خطوه القاضي في المحكمة الشرعية الكبرى وأحد أكبر المدرسين في الجامع الازهر وطفق يسرد ما كان للفقيد عليه الرضوان من خدمة العلم والدين والاصلاح الصوري والمعنوي في الازهر والمحاكم الشرعية وما له من الايدي البيضاء على العلم والعلماء ، وقد ضعف صوته أن يصل الى آذان الحاضرين جلياً فامتدت الاعناق وكاد يضطرب الجمع فاستجاب عنه محمد أفندي سعودي أحد كتاب المحكمة بعد الاعتذار . ثم قام حسن باشا عبدالرازق أحد أعضاء مجلس الشورى فدكر من فضائل الفقيد وفواضله وآثاره وما آثره ماشاء الله أن يذكر وتوسع بعض التوسع في أثره رحمه الله تعالى في مجلس الشورى وكيف كان صاحب الرأي الاعلى حتى ارتقى به المجلس وزال ما كان بينه وبين الحكومة من سوء التفاهم .

وتفقه قاسم بك أمين القاضي في محكمة الاستئناف الاهلية فذكر مكانة الفقيد في الامة ، وما امتاز به من المزايا الجمية ، وكيف وقف نفسه على اصلاح أمته ، وكان قدوة صالحية في علمه وسيرته ، وكيف ارتقى بجده وعلمه وعقله وقوة ارادته ، الى مقام مكنه من الاخذ بزمام أمة بأسرها ، وسوقها الى المستقبل الذي هياها لها ، وهو مقام الامامة بأوسع معناها

تلا هؤلاء الخطباء أشعر الشعراء في هذا العصر حفي بك ناصف القاضي بمحكمة مصر الاهلية وحافظ أفندي ابراهيم فأشد كل منهما مرثيةً بكت السامعين بعد ما كدنا نظن ان تلك الخطب المؤثرة قد استنزفت الشؤن من العيون .

فأما مرثية حافظ فقد نشرناها في جزء سابق وأما مرثية حفي فسنشرها مع سائر المرثيات والتأبين في جزء الرثاء والتأبين من تاريخ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى رحمة واسعة

ثم ختم الاحتفال كما بدى بتلاوة آيات القرآن الحكيم وانفض الجمع وهم يستعطرون الرحمة لفقيد الشرق والاسلام ، ويسألون الله أن ينفع بسيرته الانام ،

وقد رأوا ان هؤلاء المؤمنين الذين يمثلون الطبقات العليا في الأمة على ما لهم من الصفة الرسمية قد سجلوا مناقب الفقيه على رؤوس الأشهاد وأقرهم الألوف على ذلك سبق للادباء والوجهاء في مصر ان اجتمعوا لتأبين ثلاثة رجال شفيق بك منصور يكن الذي كان قاضياً في محكمة الاستئناف ثم رئيساً للنيابة فيها ووكيلاً للنائب العمومي (المتوفى سنة ١٣٠٨) وعلي باشا مبارك ناظر المعارف الذي خدمها في مصر بهمة واجتهاد واخلاص بقدر ما سمحت له قدرته وحال البلاد (المتوفى سنة ١٣١١) ومحمود سامي باشا البارودي وما العهد به بعيد

كل أولئك نابغ في قومه انفراد بالسبق في بعض المزايا حتى لم يكن في عصره من يزاحمه في مزيته فيدعي مساواته فيها وكأنك بهذه الأمة التي زادت بها الحرية الشخصية فوضى وتهجماً من الوضيع على محاكاة الرفيع فيما تسهل المحاكاة فيه مما كان عن الرفعة دون ما كانت به الرفعة قد صارت تجتمع لتأبين من ليس لهم فيها أثر يذكر ولا ذكر يرفع اجابة لدعوة أهلهم وأصدقائهم حتى لا يبقى لمثل هذا الاجتماع مزية يحفظها التاريخ أو يحفل بها المؤرخ

قد بلغ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى من المكانة العالية والشهرة الواسعة ان صارت الأبصار تشخص والقلوب من ورأها تتلفت الى كل ما كان يكون منه أو يصدر عنه أو يعمل له أو يقال فيه وهذا ما أحسب أن يجعل تأبينه سبباً لاجلال التأبين وحمل المقلدين على الرغبة فيه وهذا هو الذي يجعل التأبين بعد اليوم محاكاة لاجلال الأمة لمن يؤبن لاحكاية عنه اذ يعز أن تجذب قلوب جميع الطبقات في الأمة ليجتمع يشاد فيه بذكر رجل بعد خادمها الامين ، وامامها في العلم والعمل والدين ، أو ينبغ فيها من يساهم الرجل في فضائله ، ويكون له في الامة ولو بعض فواضله ، فتأبين الاستاذ الامام هو الذي جعل للتأبين شرفاً يرغب فيه ويحمل على محاكاته وهو الذي يسلبه هذا الشرف اذا كان لغير مستحقه واذا فهم المقلدون هذه الحقيقة فانهم يكرمون من يفقدون من ذوي القرين أو الصداقة تبرك الدعوة الى تأبينهم ويتركون هذا الأمر الى الامة نفسها يقترحه فضلاً لها وكتابتها لمن يرويه أهلاً له في المستقبل فيكون كما ينبغي أن يكون ، والله في خلقه شؤون ،